الطيران

تاريخهُ وتأثيرهُ في العمران (١)

تدلُّ الاعمال العظيمة التي عملها الاميركيون والانكليز حديثاً في باب الطيران على اننا في فاتحة عصر جديد يقدم الناس فيهِ على اسفار منتظمة بالطيارات فوق البرور الواسعة والبحور الشاسعة . ولا ريب ان قطع البحور العظيمة بالطيارات عامل قويّ في تقدم الحضارة وارتقاء الانسان الى حدّ يفوق كل تصوّر

كان نشوء الانسان منذ خمسة قرون الكثيرة التي مرّت قبلما بلغ حالتهُ الحاضرة نشوءاً بطيئاً جدًّا . ولو ترك وشأنهُ يغالب الطبيعة ويرفع الحجاب عمَّا خبأهُ لهُ القدر وليس لديهِ ما يستعينهُ سوى قواهُ الطبيعية لغلب على امرهِ في وجه اعدائهِ الكثيرين والعثرات الصعبة التي قامت في سبيل تقدمهِ . ولكن قبس الوجدان الذي كان يبص في ذهنهِ ساعدهُ على مداومة السير رغم العقبات الكثيرة والتغلب على عناصر الطبيعة في النهاية حتى صار سيد الكون غير منازَع . وتمكن بوجدانهِ هذا ايضاً من تكييف محيطهِ بحيث يطابق احوال نوعهِ بدلاً من تكييف هذا النوع بحيث يطابق احوال المحيط كما قضى بهِ ناموس النشوء . وهذا التكييف هو الذي مهّد السبيل الى ظهور نوع الانسان كما نراهُ الآن . وبعد ما كان سيرهُ في بادىء الامر بطيئاً ثقيلاً ازدادت سرعتهُ ازدياداً عجيباً على مرّ القرون وكان العامل الاعظم على هذه الزيادة زيادة المواصلات بين الناس بعد نحولهم من طلب المعيشة برعاية الماشية والارتحال بها من مكان الى مكان انتجاعاً للكلاء الى طلب المعيشة بالحضر والاعمال التي تستلزم المقام في مكان واحد

وقد اشتهرت مدنيات العالم القديمة بالطرق العظيمة التي رسمتها في البرّ والبحر كما فعلت بابل وقرطاجنة واليونان ورومية في ايام دولها ولا تزال آثار بعض تلك الطرق باقية الى هذا اليوم . وهكذا كان شأن المدنيات الحديثة التي زهت في القرون الوسطى فان فتح الطرق وزيادة وسائل المواصلة كانا من اظهر مظاهرها

(١) ملخصة من مقالة في المجلة العلمية الشهرية التي تصدر في اميركا للدكتور جورج بوتزات مستشار لجنة الطيران الاميركية

وبسط الكلام على هذا الموضوع يستلزم مجلدات ضخمة ولكن زبدة المقال هي ان قدرة الانسان على الانتقال من مكان الى مكان على سطح هذه الارض تنطوي على كل عمل يعمله فكلما سهل هذا الانتقال عليهِ زادت فسحة حياتهِ سعة وقوة. فان الحركة مادة هذه الحياة الدنيا وفتح الطرق يعجّل ارتقاءها ويعززهُ

والعامل الاعظم في هذا الانتقال هو السرعة. فلا يكفي ان يكون عندنا طرق ممتدة في كل جهة بل يجب ان تكون حركة الانتقال فيها على اسرع ما يمكن. ومن غريب ما يقال ان الناس لم يدركوا دائماً تأثير السرعة في النظام الاجتماعي. فقد نُقل عن نابليون انهُ اعرب في السنوات الاخيرة من سؤدده عن ارتيابهِ في فائدة سكك الحديد المبنية على اكتشاف ستيفنسن

فما هي السرعة. هي شيء نشعر بهِ ولا ندركهُ. والرجال العظام والامم العظمى طالما شعروا بعظم شأن السرعة وقدروها حق قدرها. وسرعة الانتقال تفضي الى زيادة الهمم في الاعمال وزيادة كفاءة الامم لما في ذلك من الاقتصاد في الوقت. والاقتصاد في الوقت يفسح المجال لتفكير الفرد واصلاح نفسهِ وهذان العاملان هما مصدر كل فلاح

ثم ان سرعة الانتقال تنطوي على زيادة فسحة الاجل مما كان ولا يزال من اعظم الغايات التي سعى اليها الناس اذ السرعة عمل وشعور وادراك وهو يقاس بمقدار هذه لا بعدد السنين التي نعاش. وليس في طوقنا زيادة اعمارنا ولكن في طوقنا تحسين الاحوال التي نعيش فيها وزيادة وسائل الشعور والادراك فيها. وبناء على ذلك يصح القول ان الذي عاش ثمانين سنة في عصرنا اطول عمراً من رجل عاش ثمانين سنة في الزمان الماضي لانهُ رأى وسمع اكثر مما رأى وسمع الاولون وشعر بما لم يشعروا بهِ ومرّ بهِ من الادوار والتقلبات ما لم يمرّ بهم. وقد عبّر بطرس الكبير عن هذا الشعور والفكرة الفلسفية العالية بقوله «إضاعة الوقت كالموت»

سل العلماء يخبروك ان الكون ليس ابديًّا بل مصيره الى الزوال. فان كانت اعمارنا محدودة ومجرى الانسانية كلهُ محدوداً فالواجب ان نبذل كل مجهود في اغتنام ما يبقى لنا من الوقت واستخدامهِ في افضل ما يمكن

وسرعة التنقل تفضي الى سرعة التعارف والى ما يعقب ذلك من تجانس الانسانية. ففي الزمان القديم انقسم الناس الى شعوب وامم بسبب العقبات الطبيعية

الارض في ذنب المذنب

مقتطف يونيو ١٩٢١

امام الصفحة ٥٦٨

التي كانت تفصلهم بعضهم عن بعض فنشأوا بسببها مختلفين في الطباع والعادات والاحوال حتى اذا التقوا قاتل بعضهم بعضاً حسبان انهم اعداء بالطبع . ولكن زيادة اختلاطهم بعضهم ببعض بتقريب ما بينهم من الابعاد ادّت الى تجانسهم بعد شدة تخالفهم وذلك بتجانس عاداتهم واحوالهم المعاشية اولاً ثم بتجانس اخلاقهم وعقولهم

ومما تجب الاشارة اليهِ هنا ان التجانس الاجتماعي لا يجلب التجانس الفردي لان للافراد شخصية تعينها الصفات والمواهب التي خصتهم الطبيعة بها او وجدت فيهم بالفطرة . واعظم خطإ ارتكبتهُ البلشفية هو تجاهلها كل التجاهل لهذا الفرق بين التجانس الاجتماعي والتجانس الفردي . فان الانسانية بجملتها سائرة في سبيل التجانس الاجتماعي لا تبالي ما تفكر فيهِ او ما تفعلهُ ولكن التجانس الفردي سيبقى على الدوام سائراً في السبيل المعارض لطبيعة الاشياء وللتقدم الى الامام . وهذا ما يحدو كبار المفكرين على الاعتقاد ان البلشفية مقضيٌ* عليها اخيراً بالفشل مهما بلغ تقدمها الاّ اذا غيرت مبادئها كلّ التغيير

واعظم عامل على هذا التجانس الاجتماعي العام زيادة تقرب الامم بعضها من بعض . وهذا انما يكون بزيادة سرعة المواصلات بحيث يصبح الناس جيراناً ويعرف بعضهم عن بعض ما لا يعرفون في البعد ويقدرون مواهبهم المختلفة حق قدرها . وقد قرّب البخار والكهربائية بين الناس في هذا العصر وساعدا على ارتقائهم حتى بتنا ونحن نرى في الافق تباشير تحالف عام قد يكون ضعيفاً الآن وعسى ان يزداد قوة على مرّ الايام

اما تاريخ الطيران فيلخص بما يأتي :

يرجح ان كايلي الرياضي الانكليزي هو اول من فكّر في صنع طيارة سنة ١٨٠٩ وان بينو الرياضي الفرنسوي هو اول من ادرك مبدأ الطيران حق الادراك من الوجهة العلمية واول من صنع طيارة وطارت فعلاً سنة ١٨٧٢ . ولكن ليلينتل المهندس الالماني هو اول من تمكن من صنع طيارة ترتفع بقوة رفع الهواء لها كما ابان ذلك بتجاربهِ سنة ١٨٩١ . وعقبهُ لنجلي وتشانيوت فعززا بتجارب مشهورة المبدأ الذي توصل ليلينتل اليهِ . واخيراً فاز الاخوان ريط المشهوران بصنع الطيارة كما نعرفها الآن وذلك سنة ١٩٠٣